على تركه الايمان كالبالغ وانما يظهر الفرق في التخريج فان العقل مستقل
بالايجاب عندهم وعندنا لا فالعقل مع البلوغ حجة موجبة عند اصحابنا
لا بذاته بل هو آلة والموجب في الحقيقة هو الله تعالى لكن بواسطة العقل
فالعقل بمنزلة الرسول في كونهما آلتان للوجوب وذهب المعتزلة الى انه موجب
لذاته وذهب الاشعري الى ان الموجب هو السمع لا العقل اما بيان كون
العقل موجبا فلقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه
مسؤلا والسمع يختص بالمسموعات والبصر بالمبصرات والعقل بالمعقولات
اذ السمع يسمع الحق والباطل والبصر يبصرهما ولا يكون التمييز الا بالعقل
والتمييز واجب وما لا يتم الواجب الا به يجب كوجوبه ولولا ان العقل حجة
لتعطل السمع والبصر واما بيان انه غير واجب بنفسه فلقوله تعالى فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات
الله ولا شك ان جحودهم سبب لحرمانهم عن اللطف ولو كان موجبا بذاته
لاغنى واذا ثبت ان العقل حجة في الاستدلال لا بطريق الاستدلال فيستدل به
كما استدل ابراهيم عليه السلام على معرفة ربه ببعض مصنوعاته فيما قص
الله تعالى بقوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي الى ان قال اني بريء
مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات حنيفا وما انا من المشركين
فاستدل عليه السلام بان الشمس والقمر ليسا دائمين لتغيرهما وانتقل الى الاعتراف
بربوبية من خلق السموات والارض الذي لا يعتري عليه تغير ولا زوال
ونفى عن نفسه الشرك وتأويل قوله تعالى هذا ربي في زعمكم او على تقدير
حذف همزة الاستفهام ولا يصح حمله على ظاهره لانه شرك والانبياء منزهون
عنه قبل النبوة وبعدها وكما استدل اهل الكهف فيما نعى الله عنهم بقوله
وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي قولا جورا وعدوانا فاعترفوا
بان رب السموات والارض ربهم حين قيامهم والحال انه لا سمع فدل على انه
بطريق الاستدلال بالعقل وكما قيل عن عمر رضي الله عنه انه قال البعرة تدل

على البعير

على البعير وآثار المشي تدل على المسير فكيف هذا الهيكل العلوي
والمركز السفلي لا يدلان على الصانع الخبير **قال** غير ان من لم يبلغه
الوحي لا يكون معذورا بخلاف ما يقوله المتقشفة والاشعرية **اقول**
المناسب ان يذكر موضع غير حتى لتقرن بالتفريع على قوله وكل بالغ عاقل
يجب عليه الاستدلال حتى ان من لم يبلغه الدعوة اي الوحي وترك الاستدلال
لا يكون معذورا في الآخرة فيعاقب بخلاف ما تقوله المتقشفة والاشعرية من انه
لا يجب عليه الاستدلال بالعقل بناء على انه لا وجوب عندهم الا بالسمع ولم يرد
فيعذر في الآخرة اما اذا بلغه الوحي فيجب عليه المعرفة والايمان ولا يحتاج
الى الاستدلال بالعقل لان السمع فوقه وسيذكر المص دليل الاشعري في فصل
على حدة **قال** لان المذهب عندنا ان الايمان فعل العبد بهداية الرب
ولا نقول الايمان مخلوق او غير مخلوق بل نقول من العبد الاقرار باللسان
والتصديق بالقلب ومن الله الهداية والتوفيق وعند الشافعي العمل
بالاركان من الايمان وقالت المتقشفة الايمان مجرد القول دون التصديق
اقول لما علم ان الايمان لا يتوقف على السمع عندنا شرع المص ان يبين
ان الايمان حصوله بالهداية والتوفيق فقال المذهب عندنا ان الايمان
فعل العبد بهداية الرب وتوفيقه ولا نقول بان الايمان مخلوق كما قالت
المعتزلة ولا غير مخلوق كما قالت المزدوعية وسيأتي الرد عليهم ان شاء الله
تعالى واعلم ان فعل العبد هو الاقرار بالتصديق فالاقرار عمل اللسان والتصديق
عمل القلب والهداية هي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وقيل وجدان
ما يوصل الى البغية وفيه نظر لان هذا التعريف للاهتداء لا للهداية فان
وجدان المطلوب لا يقال الهداية بل واجده يسمى مهتديا والتوفيق
جعل اسباب الشيء متوافقة في السبب اي يكون كل واحد من الاسباب
ظهيرا للآخر في حصول ذلك الشيء فاذا تقرر هذا فنقول اختلف العلماء
في مفهوم الايمان فقال بعض اصحابنا الاقرار والتصديق وهو مختار
فخر الاسلام وشمس الائمة وقد تقدم الكلام على ان الاقرار ركن زائد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)